

أحاديث رمضان ١٤٣٧ . درر ٢ . الحلقة الثامنة : حق الآباء على الأبناء ٢ - دلالة قوله تعالى :
إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ، و معنى : اخفض لهما جناح الذل من الرحمة .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٦-٢٠١٦-٠٦-١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ يقول تعالى :

﴿ إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا *

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣-٢٤]

ما دلالة قوله تعالى : إما يبلغن عندك الكبر ؟ ولم كان الآباء أوح ما يكونون إلى أبنائهم عند كبرهم ؟ وما معنى قوله تعالى : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ؟ ثم ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "أنت ومالك لأبيك" ؟ ثم ما هي نتائج البر وآثاره الباهرة وكيف ينجي البر من الكروب والملمات ؟ تابعوا هذا اللقاء لتتبينوا الإجابة عن هذه الأسئلة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحن معكم في لقاء طيب متجدد من برنامجكم درر ، لنتابع فيه الحديث عن القيم في التعامل بين أفراد المجتمع ، ومازلنا في الحديث عن حق الآباء ، هذا الحق الجليل الذي ينبغي لكل مؤمن وابن أن يكون في مستواه ، أرحب بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل نحن مازلنا في حق الآباء ، هذا الحق العظيم ، وقد بدأنا في اللقاء السابق الآية القرآنية التي توصل لهذا الحق ، قال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

أريد أن أتابع اليوم هذه الآيات :

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

أولاً : ما مدلول كلمة عندك ؟

من رعى والديه هيا الله له أولاداً يرعونه حق رعايته :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

نفهم هذه الكلمة من آية أخرى ، يقول إنسان : أنا عندي أربعة أولاد - عندي -فالأب حينما يكون شاباً في ريعان شبابه وقد تزوج وأنجب يقول : أنا عندي أربعة أولاد ، لكن سنة الله في خلقه أن الإنسان يكبر ويشيب فيصبح عند أولاده ، يقول لك : أنا عند ابني ، أنا عند صهري ، أنا عند ابنتي ، فانظر التطور ، هذه الحكمة البالغة من التطور في



حياة الإنسان في مرحلة يكون فيها بحاجة ماسة إلى أمه وابه ، ثم يقوى ويشد عوده ويكبر ، ثم يصبح بحاجة إلى أولاده ، فهذه الحقيقة دورة طبيعية ، لكن لحكمة بالغة بالغة الإنسان إذا رعى والديه هيا الله له أولاداً يرعونه حق رعايته ، هناك مكافأة بالمثل ، الذي يكون باراً بوالديه وأنا أتوقع وحالات نادرة جداً خلاف ذلك أن أولاده يبالغون في بره .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم شاع اليوم أن بعض الأبناء يودعون آباءهم في دار رعاية المسنين والعجزة ، هل بلغ الكبر أبوه عنده أم في مأوى العجزة ؟

حاجة الأب و الأم الماسة لابنهما عند الكبر :

الدكتور راتب :

والله في مأوى العجزة هنا ، أنا الذي أراه نحن أحياناً نجلد أنفسنا دائماً ، لكن البطولة أن نعرف خصائصنا الإيجابية ، في بلاد المسلمين الأب مقدس وقلماً تجد ابناً يتخلى عن أبيه ، حالات نادرة جداً ، والنادر لا حكم له ، نحن نألف أن الأب عند ابنه ، ويتلقى رعاية كاملة منه ، واهتماماً بالغاً



فلذلك عندنا شيء اسمه : التماسك الأسري ، هذه من إيجابيات حياتنا الإسلامية ، رائع جداً ، الأب أب ، والبنات بنت ، والأخ أخ ، هناك تماسك أسري نفخر به في حياتنا .

الأستاذ بلال :

إذاً الأب والأم بحاجة ابنهما أكثر عند الكبير ، لذلك قال تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

[سورة الإسراء : ٢٣]

وفي حديث :

((رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخل الجنة))

[السنن الكبرى عن أبي هريرة]

البر يتعاطم حتى يكون أعظم ...

البر أحد أكبر أسباب دخول الجنة :

الدكتور راتب :

أحد أكبر أسباب دخول الجنة ، والقضية سهلة وليست صعبة ، أنا أقول لك كلمة:

الإنسان عندما يكون باراً بوالديه غير الأجر والثواب والجنة ، يسعد بهذا البر سعادة لا توصف ، لأن الإنسان في الأساس أودع الله فيه الكمال والقيم ، فإذا لبي هذه الحاجة الفطرية من الكمال والقيم يسعد بها سعادة كبيرة ، فأنا الذي أراه أن الابن البار له سعادة لا توصف



3

حق الآباء على الأبناء ٢ - دلالة قوله تعالى : إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ، و معنى : اخفض لهما

أ يشعر أنه أدى الذي عليه ، أو ردّ بعض الجميل لوالديه ، هذه حالة مريحة جداً ، والذي يكون عاقلاً لوالديه يعاني من آلام وانهدام في الذات لا يحتمل ، الذي كان سبب وجودك بذل كل ما يملك من أجلك فرددت عليه بإساءة بالغة .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم أريد أن أنتقل إلى موضوع يتصل بهذا الأمر ، وهو الحديث الشريف على اختلاف في رواياته ولكن المجمع عليه :

((أنت ومالك لأبيك))

[في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقة على شرط البخاري عن جابر بن عبد الله]

كيف نفهم أنت ومالك لأبيك ؟

القصد من الحديث السابق بيان عظم حق الأب :

الدكتور راتب :

والله أنا أفهم هذا النص ، أحياناً يأتي النص فيه مبالغة ، ليس القصد منها أن تتحقق ، القصد منها بيان عظم حق الأب ، لو فرضنا ابناً مسافراً ويرسل لوالده ما فاض عن حاجته ، وهذه المبالغة المتتابعة الهدف أن يتزوج الابن ، فإذا جاء أب وأخذ النص على ظاهره وقال : أنت ومالك لأبيك وضمّ كل المال إلى ثروته ، ليس هذا هو المعنى ، أنا أقول : مثل هذا النص من معانيه الدقيقة بيان عظم حق الأب فقط ، فليس من المعقول أن يأخذ الإنسان مال ابنه كله ، أما أنت ومالك لأبيك فليبين عظم هذا الحق ، لكن يجب أن تدع له شيئاً يعيش منه .

الأستاذ بلال :

جميل لكن لو كان الأب أو الأم فقيرين محتاجين ، ألا تجب نفقة الابن ؟

الدكتور راتب :

أبدأ من دون أي إشكال ، لكن بالمعقول .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم البر من صفات الأنبياء ، يحيى عليه السلام وبراً بوالدتي ، عيسى عليه السلام وبراً بوالدته ، يوسف عليه السلام ورفع أبويه على العرش ، أريد أن أصل إلى بر إسماعيل عليه السلام بإبراهيم عليه السلام ، يوم قال له : يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فضلاً عن الحكم الشرعي طبعاً أنه أمر من الله لكن هذا الاستسلام .

مواقف الأنبياء الرائعة مشاعل وقدوة لنا :



الدكتور راتب :

الحقيقة أولاً : هذه حالة تعد من أعلى حالات التوكل ، وتعد من أعلى حالات البر ، حالة قيم كبيرة جداً ، فإله عز وجل يأتيها بهذه المواقف الرائعة للأنبياء ليكونوا مشاعل لنا ، قدوة لنا ، طبعاً ليس الإنسان مكلفاً أن يفعل ما فعله إبراهيم عليه السلام ، ولكن هذا نموذج أمامنا يبين عظم حق الأب على ابنه .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم لو انتقلنا إلى نتائج البر ، أنتم ذكرتم في البداية نتيجة جميلة جداً ؛ بروا آباءكم تبركم أبناءكم ، أول النتائج ؛ الذي يبر أباه ينتظر إن شاء الله أن يبره أبناءه ، أيضاً مما يلمح في الحياة بشكل واضح أن البار بوالديه موفق في حياته .

بر الوالدين لا يلغي طاعة الله عز وجل :

الدكتور راتب :

والله أنا أعرف اناساً كثيرين وفقوا في الحياة توفيقاً يفوق حدّ الخيال ، فإذا بحثت عن الأسباب البعيدة هو بره بوالديه ، أنا أعلم صديقاً لي له بر بأبيه وأمه يفوق حدّ الخيال ، رفع مقامهما إلى أعلى درجة ، وله أخ عاق لوالديه ، أخ شقيق ، المفارقة الحادة التي يصعب تصورها أن البار بوالديه يأتيه دخلاً فلكياً ، عندي آلاف الأمثلة عن الإنسان حينما يكون باراً بوالديه ، ولكن أتمنى أن ألفت نظر الأخوة المشاهدين لقضية خطيرة ، لو توهم ابن أنه بار بوالديه جيد جداً لكن هذا لا يعفيه من طاعة الله ، هناك من يتوهم أنه يكفي أن يبر والديه ، لا ، هناك إله عظيم خلقك ، هناك منهج قويم ، هناك أمر و نهى ، بر الوالدين لا يلغي طاعة الله عز وجل ، ولا ينبغي أن تكتفي بهذا البر فقط ، لكل جهة موقف خاص .

الأستاذ بلال :

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الإسراء : ٢٣]

العبادة والبر ، أحسن الله إليكم سيدي ،
ما زلنا في نتائج البر ، ونتائج أداء
حقوق الوالدين ابقوا معنا ..

السلام عليكم ورحمة الله ، عدنا من
جديد لنتابع الحديث عن حق الوالدين ،
أستاذنا الكريم ؛ كنا قبل الفاصل نتحدث
عن الآثار الإيجابية التي يجنيها البار
بوالديه وذكرتم منها جزاكم الله خيراً أنه
ينتظر أن يبره أبنائه ، ثم ذكرنا التوفيق



في الحياة إذا هو أطاع الله مع بره لوالديه ، يحضرني الآن أثر ثالث وهو تفريج الكرب ، فكما ورد
في الحديث الصحيح عن هؤلاء الذين حبسهم الغار ثم قال واحد منهم :

((كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَعْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ
يَوْمًا ، فَلَمْ أَرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمِينَ ، وَكْرِهْتُ أَنْ أَعْبِقُ
قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيفَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرَبَا
غَبُوقَهُمَا))

[البخاري عن عبد الله بن عمر]

وكان أحد أسباب النجاة ، كيف نفهم بر الوالدين في تفريج الكرب ؟

العمل الصالح دائماً هو قرض الله عز وجل :

الدكتور راتب :

الإنسان حينما يكون باراً بوالديه كأنه أقرض الله قرضاً حسناً ، العمل الصالح دائماً هو قرض الله عز
وجل ، فقد يطلب من الله هذا القرض أحياناً ، فإذا وقع في أزمة مالية ، أزمة اجتماعية ، أزمة
بعمله ، أزمة بصحته



العمل الصالح وسيلة لتطلب من الله تفريج الكرب عنك

هذه الأزمات مؤلمة جداً ، فالإنسان
حينما يدعو الله أن يفرج عنه كرب ،
ممكن أن يتوسد بالدعاء هذا بعمله
الصالح الذي ابتغى به وجه الله عز
وجل ، هذا من سنة النبي الكريم ، ومن
توجيه النبي لنا ، انا أسميها أيام الله ،
كل إنسان له مع الله أيام ، عمل عملاً

حق الآباء على الأبناء ٢ - دلالة قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ

طيباً تألق مع الله ، خدم إنساناً ، أنقذ حياة إنسان ، أعان إنساناً ، ساهم بتزويج فتاة مثلاً ، خاف أن تبقى عانساً فساهم بتزويجها ، الأعمال الصالحة كلها يمكن أن تتخذ وسيلة لتطلب من الله تفريج الكرب من خلال هذه الوسيلة ، هذا منهج من النبي الكريم ، والإنسان يسأل الله أن يفرج عنه ما هو فيه بخير عمله ، لا يوجد إنسان إلا و له عمل طيب ، أنا أقول هذه الأعمال الطيبة في ميزان حسناته ، ويمكن أن يستخدمها كثيراً مع الله عز وجل ، والنبي علمنا ذلك .
الأستاذ بلال :

اعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، بارك الله بكم ، أستاذنا الكريم الآية غنية جداً التي بدأنا بها ونفرع عنها الحديث :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

أحد أسباب النجاح في الدنيا بر الوالدين و عدم التأفف منهما :

الدكتور راتب :

لو أن في اللغة كلمة أقل من أف لذكرها الله ، ما معنى أف ؟

نفس زفير ، ما تكلم ولا كلمة ، ولا فعل شيئاً إلا أنه تنفس نفساً مسموعاً ، وهي تعبير عن الضجر أحياناً ، لذلك العلماء حملوا أشياء كثيرة على كلمة أف ، يوجد ثلاث وثلاثون حالة تشبه الأف ، لو دفع الباب بقوة، لو شدّ نظره إلى والديه ، هذا كله من عقوق الوالدين ، فالأب له مكانة كبيرة عند الله ، هو سبب وجودنا ، هذا الأب العادي فكيف إذا كان صالحاً ؟



كيف إذا كان مؤمناً إيماناً كبيراً ؟ كيف؟ فلذلك أنا أتمنى على الأخوة المشاهدين أن يعتمدوا هذه الحقيقة ؛ أحد أسباب النجاح في الدنيا ، النجاح في التجارة ، وفي الزواج ، وفي المشكلات أن تذكر الله عز وجل برك لوالديك .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم في المقابل البر وهو اسم جامع لكل خير يقابله عقوق الوالدين ، ودائماً نتمنى أن نبقى في الإيجابيات ، ولكن لا بد من أن نخرج على جزاء العقوق ، قد ورد في الحديث لا ينظر الله إلى العاق ، هذا العقوق ما الأمر الذي أدى به إلى هذه النتيجة ؟

العقوق جريمة كبيرة يقترفها الإنسان :

الدكتور راتب :



الله عز وجل خلقنا ، لكن الأب والأم سبب وجودنا في الدنيا ، فاللذان كانا سبب وجودك في الدنيا قابلت إحسانهما بنكران الجميل ، العاق انا أسميه جريمة ولا أبالغ ، جريمة كبيرة يقترفها الإنسان. شيء آخر أحب أن أنبه الأخوة المشاهدين لا تتأمل خيراً من عاق لوالديه ، لو كان فيه خير لبر والديه ، لا تشاركه لن توفق ، عاق الوالدين لغم ، قنبلة ، لا تعلم متى تنفجر .

الأستاذ بلال :

لو تابعنا الآيات :

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَهِمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣-٢٤]

ما معنى خفض جناح الذل من الرحمة ؟

توضيح قوله تعالى : وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ :

الدكتور راتب :

أي يمكن أن يكون الابن وزيراً أو مسؤولاً كبيراً أو ضابطاً كبيراً في الجيش ، قد يرتقي لمنصب رفيع ، وقد يكون معه سلطة كبيرة ، علاقته مع والده يجب أن تكون علاقة المتواضع الذي يصغر أمام والديه ، نحن في حياتنا اليومية والله شخصيات كبيرة جداً يقبل يد أمه أمام الملاء ، هناك كثير من رؤساء الجمهوريات يقبلون يد أمهاتهم



على المأ ، فلذلك الإنسان يكبر إذا كان باراً بوالديه ، يكبر لا يصغر .
الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم أريد أن أختتم بهذا الموضوع اللطيف ربنا عز وجل عندما أقسم قال :

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴾

[سورة البلد : ٣]

أقسم بهذا النظام ، ما هو نظام الأبوة والأمومة ؟ إلى ماذا يشير ؟

نظام الأبوة والأمومة تعريف بذات الله العلية :

الدكتور راتب :

أولاً : الإله العظيم يفرح إذا كنت سعيداً بقربه ، مع أنه غني عنك كلياً ، أي كأن الله عز وجل أراد أن يعرفنا بذاته العلية من خلال نظام الأبوة ، ترى إنساناً يسعده أن تكون سعيداً ، يسعده أن تكون موقفاً ، يسعده أن يكون زواجك موقفاً ، ودخلك كبيراً ، لذلك يقولون : لا يوجد أعلى من الولد إلا ولد الولد ، والأحفاد لهم مكانة كبيرة في مجتمعاتنا ، فذلك الإنسان حينما يبر والديه يكون قد أزاح عن نفسه أحد أكبر أسباب الشقاء ، هذا موقف أخلاقي وديني واجتماعي ، وأنا والله أعرف أناساً كثيرين وقفوا في الحياة توفيقاً يفوق حدّ الخيال ببرهم لوالديهم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم بقي أن نوجه ونحن إن شاء الله اللقاء القادم نتحدث عن حقوق الأبناء على الآباء لكن مبدئياً هل يستطيع الأب أن يعين ابنه على بره ؟

رحم الله والدأ أعان ولده على بره :

الدكتور راتب :



والله بارك الله بك ، كنت أريد أن أبدأ بهذا الموضوع ، رحم الله والدأ أعان ولده على بره ، هل من المعقول أن يكون للأب ابن ناشئ ، يريد أن يتزوج ، وعليه مصاريف كبيرة جداً ، ويريد أن يفتح بيتاً ، ويطلبه بنفقه عالية جداً ، إذا عطل عليه مشروعه ، هذا الأب الرحيم بابنه عندما يريد أن يتزوج يسامحه ، يقلل طلباته منه ، يعينه على

هذا الزواج ، وهذه رحم الله والداً دعاء من أرقى الأدعية يدعو لأبيه بالرحمة إذا كان معتدلاً بطلباته من ابنه ، رحم الله والداً أعان ولده على بره ، هناك آباء يطلبون أشياء غير معقولة إطلاقاً ، ابنه يتمزق ، دخله قليل ، وعليه مصاريف كبيرة ، وطلبات من أبيه ، والابن قد يكون باراً بوالده ، رحم الله والداً أعان ولده على بره .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

أخوتي الأكارم ؛ لم يبق لي إلا أن أشكر أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي على ما تفضل به من هذه المعاني الطيبة السامية ، التي أسأل الله أن نكون جميعاً عند مستواها ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ، ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين